

موقف الدكتور عبد المجيد مزيان

من الحضارة الغربية

الدكتور / زازوي موفق

جامعة تلمسان

zmoufek@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 11-02-2018 / تاريخ القبول: 27-05-2018 / تاريخ النشر 15-09-2018

Abstract:

In This paper I Will try to deal with what the western civilisation has achieved .On the other way I try to show how could Dr. Abdul Majid Meziane through the idea of filling these gaps. By offering an alternative that takes the values of Islamic civilization and expresses harmony and integration, in other words expressing the structural and integrative view of human civilization.

الملخص:

سأحاول في هذه الورقة إبراز بعض مستويات التشردم التي وصلت إليها الحضارة الغربية. على المستوى الروحي و الأخلاقي و الاقتصادي هذا من جهة . و من جهة أخرى أحاول أن أبين كيف استطاع الدكتور عبد المجيد مزيان من خلال فكره سد هذه الثغرات . و تقدم بديل حضاري يأخذ بقيم الحضارة الإسلامية و من ثمة التعبير عن الانسجام و التكامل، و بعبارة أخرى التعبير عن النظرة التركيبية و التكاملية للحضارة الإنسانية. .

تمهيد:

في هذه الورقة البحثية أحاول إبراز موقف الدكتور عبد المجيد مزيان من الحضارة الغربية من خلال كتاباته. وقد حددت جملة من الأبعاد: أهمها البعد الروحي إلى جانب أحلقلة النظرة العلمية للظواهر. و أخيرا تقدم موقفه من العولمة و العولمة الاقتصادية خاصة . لتبيان أولا أهم الثغرات التي تميزت بها الحضارة الغربية وتقدم ثانيا الحلول التي قدمها الدكتور عبد المجيد مزيان لسد هذه الثغرات . بهدف تقديم رؤية متكاملة و شاملة للحضارة الإنسانية.

1/-البعد الروحي

ما يميزا الحضارة الغربية رؤيتها المادية للأشياء من خلال وضع قطيعة بين المقدس و الدنيوي أو بين السماوي و الأرضي . ليصبح العقل البشري هو المسير و المشرع للحياة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية...و لكن لما كان هذا العقل مهما بلغ من اجتهادات، فانه لا شك قاصر محدود. و في

محدوديته تتجلى جملة من السلبيات. لذلك فإنها حضارة كان من نتائجها اتساع دائرة المادة على و نتيجة مما عكس رفاهية و تقدم هائل لم يكن يحلم به الإنسان الغربي في يوم من الأيام. حساب الروح. للضعف و التخلف التي تعاني منه الشعوب العربية و الإسلامية في هذا المجال، كان لابد من الاستفادة و لكن الإشكالية تكمن في الاختلاف في طريقة الانفتاح على الغرب. من هذه المنجزات. إن مشكل الهوية هو العائق الأول الذي يطرح نفسه بسبب اختلاف المرجعيات، مما عرقل و أخر طريقة التعامل مع الغرب.

و عندما نعود إلى فكر الدكتور عبد المجيد مزيان يتجلى موقفه الصريح في دعوته إلى الاستفادة من منجزات الحضارة الغربية و لكن في إطار ما يعرف بأسلمه العلوم و هي النظرة التي يحاول فيها إعادة الالتئام و التكامل بين العلم و الدين لذلك نجد الشيخ عبد المجيد مزيان كثيرا ما يبيننا للرجوع إلى تراثنا حينما يقول: "لا ينبغي إن نتغافل عن هذا التراث الفكري الروحي الذي يمكن استقراؤه و التعمق في إمكاناته لمواجهة أزمت العصر الذي جردتنا فلسفته المادية المسيطرة على ذهنياتنا من كل اعتبار خلقي في حياتنا الاقتصادية و السياسية"¹.

و من ناحية أخرى فإن الرؤية التي يدعو إليها عبد المجيد مزيان رؤية قائمة على "مبدأ التوحيد لأن كل سيطرة لغير الله على الناس هي نحو من العبودية الممقوتة ، و التوحيد يرفض هذا الشكل من الحياة و يعتبر الإنسان عبدا لله فقط و يحرره من العبودية و الرضوخ لكل نظام ، بل لكل عامل مسيطر يضع نفسه مكان الله و هذا يعني التسليم لله وحده"² و أن الله هو المركز و هو أصل الكون. فهو يدعو إلى تعزيز التوحيد و تجديده، لأن انهيار الحضارة في رأيه هو انهيار العقيدة و انهيار للروح. و بالتالي فإن سقوط هذه النظرة الاعتقادية و المعرفية فانه حتما يقودنا إلى تغير النظرة الكونية للوجود بشكل عام.

و في هذه الفكرة بالذات يتفق الشيخ عبد المجيد مزيان مع ألان توران الذي ذهب إلى القول أن أنصار الحضارة قد أبعادوا نهائيا العالم المقدس من حياة الإنسان عندما اعتقدوا أنه: "لا المجتمع و لا التاريخ و لا الحياة الفردية تخضع لإرادة كائن أسمى يجب الإذعان له، أو يمكن التأثير عليه بواسطة السحر، فالفرد لا يخضع إلا لقوانين طبيعية."³ و التحكم في هذه الأخيرة يجعل من الإنسان سيذا و يجعل من الطبيعة عبدا لا يعرف إلا الإذلال و القهر .

2/- في أخلاقية النظرة العلمية للأشياء

يسمى العصر الحاضر عصر التكنولوجيا و المعلوماتية لكن إذا نظرنا إليه من جهة أخرى يمكن تسميته بعصر أزمة الهوية الإنسانية و القيم الأخلاقية.

فعندما نتساءل عن القاعدة الأخلاقية التي ينبغي أن يحتكم إليها السلوك الإنساني نجد النظرة الغربية تربطه بالكائن الإنساني لا بالله و هذا ما يعرف بدنيوية الحياة الإنسانية بحيث يصبح الإنسان هو المؤله و هو المشرع و المقنن للحياة الأخلاقية و الاجتماعية عامة.

لكن نظرة الشيخ عبد المجيد مزبان تكمن في إعادة التثام العلاقة بين الإنسان و الله أو بين الديني و الديني.

فالإنسان المؤله هو نتيجة التصورات التي انبثقت عن الفكر الغربي إبان القرن التاسع عشر تحديدا مع العالم و المفكر الفرنسي أوغست كونت⁴ الذي قال بقانون الحالات الثلاثة.

1/- الحالة اللاهوتية: و تتمثل في سيطرة الغيبي على الواقعي و تنقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة مراحل:

أ/- المرحلة الفيتيشية : و التي تعبر عن عبادة الأشياء

ب/- مرحلة عبادة الأصنام

ج/- مرحلة عبادة الله

2/- الحالة الميتافيزيقية: يمثلها الفكر الفلسفي اليوناني و اتسمت هذه الحالة بأن الظواهر بداخلها عللها

3/- الحالة الوضعية: و هي بزوغ عصر العلم التفسير بالأسباب من خلال ربط الظواهر بعلاقات ثابتة أ ما يعرف بالقانون العلمي. و في هذه المرحلة إذا كانت لا بد من عبادة فإنها تكون للإنسان الأعلى و هو العالم الذي يتمكن من تفسير الظواهر

قد توج القرن التاسع عشر بموت الله مع نيتشه⁵ أي موت أخلاق التسامح و العطف و الرحمة و الشفقة و التي يعبر عنها بأخلاق العبيد و استبدالها بأخلاق القوة.

مع تطور الفكر الغربي و في القرن العشرين تحديدا ظهرت فكرة موت الإنسان مع الفيلسوف و المفكر الفرنسي ميشال فوكو و إعلان السيادة للتقنية و الآلة.

”تلك بعينها، هي الفلسفة الوضعية التي تميز الغرب. فحتى عندما تؤمن بالخلق الخالق – فهي بالعلمانية – قد قررت أن العالم مكتف بذاته، و أن الإنسان مكتف بذاته، فالعلم تدبره الأسباب الذاتية و المادية المودعة في عوالمه و مجتمعاته و قواه و ظواهره، فالإنسان هو سيد الكون و لا سلطان على العقل

الإنساني إلا العقل الإنساني وحده. و العقد الاجتماعي البشري يقرره الاختيار الإنساني وحده و الحرية الإنسانية التي لا سقف عليها و لا إطار يحكمها من وحي أو شريعة تأتي بها السماء”⁶

أمام هذا المشهد الكارثي الذي ينبئنا عن إفلاس الفكر الغربي، يعمل الدكتور عبد المجيد مزبان على تفاديه و تجنبه، و هنا يأتي دور العرب و المسلمين في تقديم مشروع حضاري يقوم على الجمع و التوحيد بين مكونات الإنسان الروحية و المادية.

”فالتراث العربي الإسلامي إن وعيناه و استثمارناه ثم لقحناه بالأفكار المستجدة يمكن أن يعتبر طوق نجاة ليس فقط للمسلمين وحدهم و إنما للإنسانية جمعاء. لهذا السبب نجد الشيخ عبد المجيد مزبان و على سبيل المثال ينبه من المخاطر و المزالق التي نجمت عن الحضارة المادية و التي كثيرا ما تدعو إلى احتقار الروحيات و تحبذ النجاح الاقتصادية و المتاجرة بكل ما يمكن المتاجرة به ، و لو كان عملا إنسانيا مثل الطب”⁷

و يحمل القول أن الشيخ عبد المجيد مزبان يدعو إلى أخلاقية مناحي الحياة الإنسانية و الاجتماعية. فهو يضع نصب عينيه كرامة الإنسان الروحية و المادية في المقام الأول و الأخير .

ثم إن حصر العلم في دائرة التفسير الآلي أي البحث في العلاقات الثابتة بين الظواهر له من المخاطر الكثيرة التي تنعكس على الإنسان. و من بين هذه المخاطر و التجاوزات الملاحظة في جملة من الميادين يأتي في الدرجة الأولى المجال الطبي الذي لم يكتثر بالجانب الغائي. جعل الشيخ عبد المجيد مزبان ينبه إلى ضرورة التوازن بين التفسيرين. و قد يكون العالم الأمريكي اروين شارباف⁸ من الذين شعروا بضيق النظرة العلمية المطبقة في ميدان علم الوراثة تحديدا. خاصة إذا علمنا أن هذا العالم مختص في الوراثة و الذي أيقن بعد سنوات من البحث و التجارب أن علم الوراثة ماضي صوب أفق نتائجه تكون وخيمة على الإنسانية.

فهو يرى أن العلم بصفة عامة قد مر بمراحل ثلاثة:

- المرحلة الأولى سماها بمرحلة الوصف.
- المرحلة الثانية أطلق عليها التفسير
- أما المرحلة الأخيرة تمثل الخطورة و سماها بالتصحيح الجيني . كالتدخل في طبيعة الأشياء، الأمر الذي جعله يعلن توقفه عن الأبحاث في مجال الوراثة خوفا من النتائج السلبية الكارثية التي ترافق أي بحث في

هذا المجال . و من هنا تفرض فكرة الغائية نفسها لتعيد الأمور إلى نصابها . هذا يتطابق مع نظرة الشيخ محمد عبده في إبراز قصر العقل البشري و محدوديته عندما يقول:

”و إذا قدرنا العقل البشري قدره وجدنا غاية ما ينتهي إليه كماله إنما هو الوصول إلى كنه حقيقة فمما لا تبلغه قوته و من أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن العقل البشري أن يصل إليه وحده لهذا كان العقل محتاجا إلى معين يستعين به في وسائل السعادة في الدنيا و الآخرة“⁹

مما ينبغي الإشارة إليه هنا أنه ما من ميدان أو مجال علمي يدخله باحث أو عالم إلا ووضع نصب عينيه إنسانية الإنسان. و هذا ما يؤكد عليه الشيخ عبد المجيد مزيان. عندما يؤكد على الأصول الروحية في أخلاقيات الطب عند المسلمين. خاصة عندما يصرح: ” أن لأخلاقيات الإسلام واجب التدخل، و المشاركة، لمعالجة الانحرافات التي طرأت، أو قد تطرأ في ميدانين مهمين من الحياة الطبية: أولا: في النظام الاجتماعي الذي يحتضن الممارسات الطبية.

وثانيا: في الاختراعات المطلقة التي قد تنزلق إلى المغامرة بكرامة الإنسان“¹⁰.

3/- موقفه من العولمة

تقوم فكرة العولمة على هيمنة النموذج الغربي الليبرالي في جانبه السياسي و الرأسمالي و الاقتصادي و الثقافي و اعتباره النموذج الوحيد و المطلق و الذي ينبغي أن يطبق على جميع الدول دون استثناء. هذا ما ذهب إليه الجاهلي¹¹ عندما اعتبرها ” ظاهرة اديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم و هذا ما أكدته كذلك عبد الإله بلقزيز حينما عرفها على أنها: فعل اغتصاب ثقافي و عدوان رمزي على سائر الثقافات ، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف- المسلح بالتقانة- فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة“¹².

فالمصلحة تدعو إلى ذلك. بينما العالمية كما يتصورها عبد المجيد مزيان هي فكرة أولا إنسانية لا تكره الآخر ولا ترغمه على نموذج حياتي وحيد، إنما تعتبره شريكا في بناء حاضر و مستقبل إنساني أفضل للجميع كتعبير عن وحدة الإنسانية. و هذا ما يعرف بمكتسبات الالتقاء الحضاري.

فالغرب يعتقد أن كل ما وصل إليه من منجزات و تقنيات حضارية إنما هي حاصل جهوده وحده، على اعتبار أن طبيعة العقلية الأوربية خلاقية و مبدعة وغيرها مقلدة و تابعة.

من بين المفاهيم التي يعتقد الغرب أنها حكرا عليه و انه تمثل أعلى مراتب الغرنة و الأصالة. مفهوم الديمقراطية للدكتور عبد المجيد مزيان موقفا من ذلك عندما يقول أن ” الحضارة و منجزاتها و كل ما

وصل إليه الغرب الأوروبي، إنما هو حصيلة تضافر لجهود الإنسانية جمعاء. و أن الديمقراطية بصفتها المكسب الذي يشمل العديد من الحريات، ينطلق من هذا التوجيه القوي الأثر الذي هو العالمية و الاجتهاد في الوصول بها إلى أعلى مراتب الإنسانية¹³. لأن ديمقراطية الغرب تشوبها الكثير من النقائص أهمها إنسانية الإنسان التي لا تعرف تمييزا بين أبيض أو أسود.

- و لما كانت العولمة عولمات، وللضرورة البحثية كان لزاما التطرق لما يعرف بالعولمة الاقتصادية. فهي ظاهرة فرضت نفسها كحتمية لا مناص منها. غير أن الواقع بتشابكاته أفرز الكثير من تناقضاتها و التي كان لها التأثير البالغ على الشعوب المستضعفة لأن المنطق الذي يحكم هذه الممارسة الاقتصادية قائم على قانون البقاء للأقوى.

في هذا الإطار يرى الدكتور عبد المجيد مزيان أنه: "لا اقتصاد خارج الأخلاق إلا إذا كان اقتصاد الفوضى و الجور"¹⁴. لذلك فإن أهم شيء يمكن مراعاته في الممارسة الاقتصادية العدالة الاجتماعية التي تضمن الحريات منها حرية التنمية و الكرامة الإنسانية.

و الخروج عن الأخلاق في المعاملات الاقتصادية يؤدي إلى نتائج وخيمة منها:

- الجور الاقتصادي الذي يكون مصيره الهلاك و التدمير.

يقول تعالى: "و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدمير"¹⁵.

و من ممارسات الجور في الاقتصاد. الانحاس في السلع و هذه صفات و مميزات العولمة الاقتصادية و ما تعانيه الشعوب غير الأوروبية و منها الشعوب العربية و الإسلامية من تضيق في الحريات و من انحاس للسلع، كإحساس النفط اليوم مثلا.

يقدم الدكتور عبد المجيد مزيان حلا للخروج من هذه الوضعية المعقدة. يكمن في التحرر عن طريق إتباع منهجا نضاليا يتم على مستويين:

الأول داخلي: و هو التحرر و العمل على وحدة الشعوب الإسلامية.

و الثاني خارجي: يقوم على مبدأ المشاركة في العولمة لتغيير موازين السيطرة.

يقول عبد المجيد مزيان: "و نرى الفكر الإسلامي بحرصه على الأمانة العلمية الشاملة و تمسكه بالخلافة العادلة في هذه الأرض يبقى داعيا إلى كرامة الإنسان..."¹⁶.

و تبقى في الأخير كرامة الإنسان المقدسة الشغل الشاغل الذي تدور حوله أعمال الشيخ عبد المجيد مزيان.

خاتمة:

- ما يمكن حوصلته هو أن الشيخ عبد المجيد مزبان بنظرته الثاقبة و الاستشرافية توصل الى إبراز جوانب النقص في الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مادية محضة، أحادية الجانب انجرت عنها ثغرات عادت على الإنسانية بالوبال و الدمار . و بما حباه الله من ثقافة إسلامية مكنته من تقديم نظراته الائتلافية و الالتقائية في تكامل الحضارات و التي تفصح عن نظرة موحدة للإنسانية تحت مبدأ إن هذه أمتكم أمة واحدة . إنها الرؤية الإسلامية التي تجعل كل شيء خاضع لله و هي رؤية مؤسسة على الاستخلاف في الأرض .

- و المتتبع لفكر عبد المجيد مزبان يكشف عن رؤيته الحضارية التي تميزه عن تلك التي قال بها مالك بن نبي و القائمة على فكرة الإمكان

- ثم إن تأثر عبد المجيد مزبان بابن خلدون و بواقعيته جعلت منه مفكرا واقعيا بامتياز فهو يريد أن يقول لنا إننا موجودون ، إننا هنا لدينا من الإمكانيات اللازمة ما يحفزنا لأن نبادر بالعمل ولأن نشارك غيرنا في البناء الحضاري لان هذا الأخير هو ملك للإنسانية و ليس حكرا على أحد ، و هذه طبعاً دعوة لنا للإقلاع الحضاري.

الهوامش:

- القرآن الكريم

د محمد عمارة ، مستقبلنا بين التحديد الإسلامي الحداثة الغربية في مجلة ثقافتنا للدراسات و البحوث، مجلة علمية فصلية متخصصة في استئناف الحركة الحضارية الإسلامية المجلد الثاني، العدد الخامس، شتاء ص خمسة و ثلاثين

¹- د/ سعيد رحمان، حياة و أعمال المفكر الاجتماعي عبد المجيد مزبان، منشورات دار قرطبة، ألت 1، الجزائر، 2011، ص 211.

²- الشيخ شفيق جرادي ، الرؤية التوحيدية و قيم الحضارة الإسلامية -قراءة في فكر الإمام الخامنئي في مجلة الحياة الطبية، مجلة فصلية متخصصة تعني بقضايا الفكر و الاجتهاد الإسلامي ، العدد الثالث و العشرون خريف 2011 ص 74.

³- د/ سعيد رحمان، المرجع نفسه، ص 211.

⁴ د/ زكي نجيب محفوظ، الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الانجليزية، فؤاد كامل و آخرون ، دار القلم بيروت ، لبنان ص 356، 357.

⁵- د/ عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية الجزء الثاني ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ألت الأولى 1984 ، ص، 212.

- ⁶ - د/ محمد عمارة المرجع نفسه، ص 39.
- ⁷ - د/ سعيد رحمانى ، المرجع السابق ، ص 176.
- ⁸ - ارون شارغاف عالم بيولوجي وكيمائي أوكراي الأصل أمريكي الجنسية ولد سنة 1905 و توفي في جوان 2002 بنيويورك من أهم كتبه نار هيراقليطس و من أهم اكتشافاته كانت حول الحمض النووي للخلية الوراثية ينظر www.viviane-heraclite.fr/catalogue/collection/littérature-étrangère/le-feu-d-Héraclite/article/le-feu-d-Héraclite
- ⁹ - الأعمال الكاملة ، محمد عبده نقلا عن د/ محمد عمارة ، المرجع السابق الصفحة، واحد و خمسون
- ¹⁰ - د/ سعيد رحمانى، المرجع السابق، ص، ص، 176، 177.
- ¹¹ - د/ علي أسعد وطفة ، التربية العربية و العولمة: بنية التحديات و تقاطع الإشكاليات في مجلة عالم الفكر العدد ستة و ثلاثون أكتوبر - ديسمبر ألفين و سبعة ، صفحة ثلاثة مائة و تسعة و عشرون
- ¹² - انظر عبد الإله بلقزيز ، العولمة و الهوية الثقافية : عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ، ضمن ندوة العرب ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت نقلا عن د/ علي أسعد وطفة ، المرجع نفسه الصفحة نفسها
- ¹³ - د/ سعيد رحمانى المرجع السابق ، ص 119.
- ¹⁴ - د/ سعيد رحمانى ، المرجع نفسه. ص 220 .
- ¹⁵ - الآية 75 من سورة هود.
- ¹⁶ - د/ سعيد رحمانى ، المرجع نفسه، ص 227.